التشبيه في كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري(٣٩٥هـ) بوصفه معياراً نقدياً

أ. د : مريم محمّد جاسم المجمعي / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية
الباحث/ حسين عبد الأمير محمد
hussein1988@gmali.com

تاريخ الاستلام: ٣٠/ ٢/ ٢٠٢٢
تاريخ القبول: ٢٧/ ٣/ ٢٠٢٢
تاريخ النشر: ١/ ١٠/ ٢٠٢٢

الكلمات المفتاحية:
ديوان ، المعاني ، التشبيه ، العسكري ، المعيار، النقد
DOI: 10.57026/mjhr.v2i2.44

ملخص البحث:

يشتمل هذا البحث على بيان المعيار النقدي لأبي هلال العسكري في كتاب ديوان المعاني ، والكشف عن جملة من الأحكام النقدية التي أطلقها على أشعار العرب ، وكان مدار البحث فيه حول موضوع التشبيه بوصفه زخرفة بلاغية يُزين فيه الشعراء أقوالهم ، تناولنا في بحثنا الموجز أراء بعض النقاد في التشبيه، ووقفنا عند أراء العسكري وتعقيباته على العديد من المختارات الشعرية التي ضمَّنها في كتابه ديوان المعاني باعتبارها معايير ذات قيمة أدبية عالية تستحق منا الوقوف والتأمل

التشبيه في كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري(٣٩٥هـ) بوصفه معياراً نقدياً

أ. د : مريم محمّد جاسم المجمعي / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الباحث/ حسين عبد الأمير محمد

hussein1988@gmali.com

The analogy in the book Diwan Al-Maani by Abu Hilal Al-Askari (395AH) as a critical criterion

Dr: Maryam Muhammad Jassim/ Tikrit University / College of Education for Human Sciences

Researcher Hussein Abdul Amir Muhammad

Received: 30/2/2022

Accepted:27/3/2022

Published:1/10/2022

Keywords:

Diwan, meanings, simile, military, criterion, criticism

Abstract

This research includes the statement of the critical standard of Abu Hilal al-Askari in the book Diwan al-Maani, and the disclosure of a number of critical judgments he made on the poems of the Arabs, and was the subject of research on the subject of analogy as a rhetorical decoration in which poets decorate their words, we addressed in our brief research the opinions of some critics in the analogy, and we stood at the opinions of the military and his comments on many poetic anthology included in his book Diwan al-Maani as criteria of high literary value worthy of us to stand and meditate.

أ. د : مريم محمّد جاسم المجمعي / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية
الباحث/ حسين عبد الأمير محمد
hussein1988@gmali.com

مقدمة البحث

إنَّ موضوع بحثي الموسوم بـــ (التشبيه في كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٣٩٥هـ بوصفه معياراً نقدياً) هو بحث مستل من رسالتي الموسومة بـ (المعايير البلاغية والنقدية في كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري) تناولت في بحثي مفهوم التشبيه وأراء النقاد فيه بشكل عام ، والمعيار النقدي عند أبي هلال العسكري في كتاب ديوان المعاني على وجه الخصوص، وقد قسمت بحثي على أربعة مباحث :

المبحث الأول : (التشبيهات الحسان) فقد أورد العسكري العديد من المنتخبات الشعرية في كتابه الديوان وأطلق عليها معاييراً نقدية ووصفها بالتشبيهات الحسنة .

أمَّا المبحث الثاني : (التشبيه المصيب) الذي يقوم في جوهرِهِ على صحَّة التشبيه وصوابه فقد ضمن العسكري عدداً من النصوص الشعرية التي وصفها غاية في الإصابة .

وجاء المبحث الثالث : (التشبيه الرديء) الذي يكون بين طرفي التشبيه بعد وتباين، فقد ترك العسكري في كتابه المعاني تعليقات قيمة على أبيات الشعراء التي اتسمت تشبيهاتهم بالرداءة ووصفت بالقبح .

أمَّا المبحث الرابع : كان مدار البحث فيه حول (غريب التشبيه) وحصينا بعضاً من المختارات التي ضمَّنها العسكري بحسب توافرها في الكتاب .

اعتمدت بشكل رئيس في البحث على كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، كما اعتمدت على بعضٍ من المصادر القديمة ودواوين الشعراء والمراجع الحديثة التي أنارت طريق البحث .

مفـــهـــوم التشبيه :

التشبيه ركن رئيس من أركان علم البيان ، ومن أساليب التعبير الأنيق الذي يعتنق الجمالية والبنائية في الكلام ، والجمال أبرز صفاته ، وأظهر مميزاته لما فيه من خيال رائع وتصوير دقيق، وهو أفضل المحاور للتعبير عن الفكر وما يحمله من مشاعر مختلفة لذلك كُثِر في كلام العرب ((ومن مقاصد علم البيان الباحث عن أحوال اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة يقتضي أن يكون

عبارة عن اشتراك شيئين في معنى واحد هو مدلول الكلام أو الكلام الدال على اشتراك شيئين في معنى))[١].

وعبَّر أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) عن هذه الحقيقة بقوله : ((التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبهُ تأكيداً ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه))[٢] ؛ كونه من الوسائل المهمة في التصوير الفني الذي يحصل نتيجة امتزاج الصورة بالشكل والخيال .

ويكمن جمال الصورة الذي يؤديه التشبيه ((بما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جليّ، كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة ، أو بإخراجها ممَّا لم تألفه إلى ما ألفتهُ))[٣].

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق صاحب كتاب " علم البيان " عن التشبيه : ((هو بيان شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة تقرِّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه))[٤].

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نُقسم التشبيه على أقسام عدَّة بحسب المنظور النقدي لأبي هلال العسكري في كتابه " ديوان المعاني".

المبحث الأول _ التشبيهات الحسان :

عُني النقاد والبلاغيون بهذا اللون من التشبيه فقد ذكر ابن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ): ((إنَّ أحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كلّ شبهٍ بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى ، وربما قاربه ودناه أو شامّه أو أشبهه مجازاً لا حقيقة))[٥].

وفي هذا السياق يقول ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ) : ((الأصل في حسن التشبيه هو أن يمثل الأستر بالأظهر وغير المعتاد بالمعتاد المعروف ، وذلك لأجل إيضاح المقصود وبيان معنى المراد))[٦].

ويرى ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ): ((أنَّ الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه وبالضد حتَّى يكون رديء التشبيه ما قلَّ شبهه بالمشبه به))[٧]،

فأبو هلال العسكري استعرض التشبيه استعراضاً شاملاً فقد ذكر صورهُ من الجيد ، والحسن، والمصيب، والقبيح .

ومن صور الجيد والحسن عنده : إخراج ما لا يحس إلى ما يحس ، وإظهار مالم تجر به العادةُ إلى ماجرتْ به العادة ، وبيان ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها ، وإخراجُ ما لا قوّة له في الصفة على ما له قوة فيها(٨).

من خلال هذه الضروب نستطيع الوصول إلى النماذج الشعرية التي أوردها العسكري في كتابه " ديوان المعاني "، فمن أحسن التشبيه ما جاء في الهيبة قولهم :

كـــأنَّ على رؤوسهم الطيـــــر

يقول العسكري : ((أنَّ الهائب تسكن جوارحه فكأنَّ على رأسه طائراً يخاف طيرانه إنْ تحرك)) (٩) صورة تشبيهية جميلة لحالة اتسمت بالسكون والحيطة والترقب، وهي كناية عن إمالة الناس رؤوسهم إلى الصدر، وسكونهم ولا يلتفتون لا يميناً ولا شمالاً، وأصل القول هو تشبيه بأصحاب سليمان عندما كانوا يسكنون ولا يتحركون ويغضون أبصارهم تعظيماً لسليمان، وكأنَّ على رأس كلِّ واحدٍ منهم طيراً يريد صيدها ، والطير لا تقع إلَّا على ساكن.

ومن التشبيه الحسن أيضاً قول ابن المعتز في قيام السقاة بين الندامى :(من الخفيف)

بينَ أقداحِهمْ حديثٌ قصير هو سحرٌ وما سِواهُ الكلام

وكأنّ السُّقاةَ بينَ الندامى ألفاتٌ بينَ السطورِ قيـــامُ(١٠)

يصف الشاعر مجالس الشرب وما يدور فيها من حديث ساحر ليس كمثله حديث، فهم يتسامرون بين الغناء والأدب، ثمَّ يشبّه بعد ذلك وقوف السقاة الذين يقدمون الشراب والراح بينهم بحرف " الألف " بين السطور واقفًا ، يريد أنّهم سطور، والسقاة بينهم ألفات قيام . عقَّب العسكري قائلاً : ((فشبَّه اصطفاف الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن))(١١).

مواضع الاستحسان و الاستظراف في التشبيه أنْ ترى التشبيه في شيئين مثلين متباعدين، ومؤتلفين مختلفين ، والصورة الواحدة تجدها في السماء والأرض وخلقة الإنسان ...الخ(١٢)

فمن أحسن التشبيه من قديم الشعر ما قيل في الصبح قول ذي الرمة : (الطويل)

وقد لاحَ للساري الذي كمل السُّرى على أخرياتِ الليلِ فتقٌ مُشهرُ
كلونِ الحصانِ الأنبطِ البطن قائماً تمايلَ عنهُ الجلُ واللونُ أشقرُ[١٣]

علَّق العسكري على الأبيات قائلاً : ((وهذا أحسنُ تشبيه وأكمله، الأنبط: الأبيض البطن، شبَّه بياض الصبح تحت حمرته ببياض بطن فرس أشقر))[١٤].

فتشبيه الشاعر كان دقيقاً و مؤثراً في الفكر والخيال ، فقد قام بتصوير رائع ربط من خلاله بين بياض الصبح وبياض الفرس الأنبط ، و " الأنبط[١٥] " هو بياض تحت إبط الفرس وبطنه، فهو رسم صورة تشخيصية من خلال الطبيعة المتمثلة في الصباح وصفائه ولون بطن الفرس ، والقصد من وراء الصورة الفنية التي تركها لنا الشاعر إنَّ الساري قد سار طول الليل حتَّى أواخره إلى أن فتق المشهر، أي : طلوع الصباحِ، التشبيه حسنٌ ورائع إذ ربط بين بياض الصبح وبين بياض أبط الفرس وبطنه ، فالصبح أوَّل فتقه يحمر ثم يبيض .

المبحث الثاني _ التشبيه المصيب:

التشبيه المصيب يقوم في جوهرهِ على صحَّة التشبيه وصوابه، والتطابق العقلي والمادي بين طرفي التشبيه[١٦]، وحتَّى يكون التشبيه مصيباً لابدَّ أن يخلو من المبالغة والغلو ، ويفسّر الغامض ويخرجه إلى الواضح الجليّ[١٧].

وقد ضمَّن أبو هلال العسكري في كتابه العديد من المختارات الشعرية والنثرية التي اتخذت عنده سمة الإصابة والدقة في التشبيه ليمزج بها بين المعايير البلاغية والنقدية، كما جاء في قول القائل : (من الخفيف)

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلَّا أنَّ مرسوبه من الدَّرَ طافي
فيهِ ما يملأ العيونَ كبيِّر وصغيرٌ ما بينَ ذلك خافـي[١٨]

رسم الشاعر صورة تشبيهية غاية في الإصابة ، إذ شبَّه السماء بالبحر الذي فيه الدر طافي يريد به الظاهر والعائم ، وفيه ما هو كبير يبهر العيون، وما هو صغير خافي مكنون غير ظاهر فوق السطح . كذلك هو حال السماء فيها الظاهر وفيها الخافي المكنون . عقَّب أبو هلال العسكري على

البيتين قائلاً : ((قد أصاب القائل التشبيه ، المعنى جيد وليس للألفاظ رونق))[١٩] ، ويردف قائلاً : ((وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز إلَّا إنَّه مضمَّن))[٢٠]: (من الوافر)

كأنَّ سمـــاءَها لما تجلّـتْ خلال نجومها عندَ الصَّباحِ
رِياضُ بنفسجٍ خَضِلٍ نداهُ تَفتَّحَ بينها وردُ الأقاحـــي[٢١]

الشاعر يرسم صورة تشخيصية دقيقة غاية في الإصابة والوصف من خلال المشبَّه : السماء التي ظهرت فيها النجوم اللامعة حين الفجر بعد أن انقشع الغمام ، والمشبَّه به : المتمثل في رياض البنفسج إذ شبَّه السماء بها، فهي كزهر الأقاحي المبتل بالماء .

ومنه أيضاً قول مخلد الموصلي[٢٢] : (من مجزوء الكامل)

وترى النجوم المشرقاتِ كأنَّها درزُ العصابـــــه
وترَى الثـريّا وسطـها وكأنَّه زردُ الذؤابـــــه[٢٣]

يقول العسكري : ((وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب))[٢٤].

ففي أبيات الشعراء صورة فنية جميلة أبدع الشعراء بتقديمها، وقد اعتمدوا في ذلك على آليات التصوير الفني البلاغي المتمثلة في التشبيه، والتي تجعل من صورة السماء والنجوم مقبولة في نفوس القارئ والمتلقي وهذا يعطي لنا الإمكانية الفنية التي جسَّدها الشعراء في رسم صورهم الشعرية ، وما يفكرون به تجاه السماء والطبيعة، وتشبيهاتهم كانت على سبيل الإعجاب والتمتع من جهة، ومن جهة أُخرى وعلى سبيل التذكر واسترجاع الماضي بوصفها مشاهد طبيعية صامتة .

ويكون الشعر مستحسنًا رائقًا إذا توافرت فيه جملة خصال ((صحَّة المقابلة ، وحسن النظم ، وجزالة اللفظ ، واعتدال الوزن ، وإصابة التشبيه ، وجودة التفصيل ، وقلَّة التكليف و والمشاكلة في المطابقة ، وأضداد هذه كلُّها معيبة تمجها الآذان ، وتخرج عن وصف البيان))[٢٥]

فمن التشبيهات المصيبة التي أوردها العسكري في كتابه قول بشر بن أبي خازم : (من الوافر)

وروضٍ أَحْجمَ الرُّوادُ عنهُ لــه نَفَـلٌ وحَـــوزْان تؤامُ
تَعَالــى نبتهُ وَاعتــمَّ حتّى كأنَّ منابتَ العُلجانِ شـــامُ[٢٦]

وتتجلَّى الرؤية النّقدية للعسكري من خلال تعقيبه على الأبيات بقوله : ((التشبيه مصيب من الشعر القديم في الروض ، والشام جمع شامة أي ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلَّا شامة أي أمرك ظاهر)) [٢٧]. جسَّد الشاعر صورة واضحة المقاصد في التشبيه ، من خلال إحجام الرواد أي : لا أحد يقترب إليها فهو مكان يصعب الوصول إليه، بسبب انتشار النباتات فيه إذ تعالت واعتمت والتفت بعضها على بعض ، وبروز وسطها " العلجان" وهو نوع من أنواع الشجر ليس فيه أوراق تنفر الإبل منه إلَّا عند الحاجة[٢٨] ، شديد الخضرة يصل إلى درجة السواد، فالشاعر قد رسم لنا صورة تشبيهية جمالية بلاغية رائعة وعميقة من خلال تصويره لنبات " العلجان " الذي بدا واضحاً من كثرة سواده كأنَّه شام في أرض كثر النبت فيها أي " يشبه سواد الشامة البارزة في الوجه .

ومن التشبيهات التي وصفها العسكري بالمصيبة والعجيبة في كتابه ديوان المعاني قول ذي الرمة الذي وصفه بأنَّه أنعت العرب للحرباء[٢٩] (من الطويل)

ودَوّيّةٍ جَرداء جدَّاء خيَّمت بها صبواتُ الصّيفِ من كلِّ جانبِ
كأنَّ يَدي حِربائِها متمسكاً يــدا مُذنب يســتغفرُ الله تائــبِ[٣٠]

فالتشخيص البليغ للصورة الشعرية يرسمه الشاعر من خلال عرض المشبَّه " الدويبة " التي اشتدَّ عليها حرُّ الشمس وهي في بطن الصحراء، والأرض فوقها جرداء لا نبتٌ فيها ولا ماءٌ، ثمَّ يرسم لنا صورة أخرى للمشبَّه به " المسلم التائب " فقد شبَّه " الحرباء" برجل اقترف الذنوب، وقد عاد إلى ربِّه نادماً ، فهي صورة تشبيهية دقيقة ومُصيبة يقوم الشاعر بإخراجها((فالحرباء تتمسك بأغصان الشجرة وتقابل بوجهها عين الشمس ، وكلَّما زالت عين الشمس عن ساق خلَّت الحرباء يدها عنه وأمسكت بساق أخرى حتى تغيب الشمس ثم تستخفي.))[٣١] وهذه الصورة تدل على إحساس الشاعر المرهف بما يدور حوله من مشاهد .

وقال أيضاً : (من الطويل)

يصلّي بها الحِرباء للشَّمسِ مائِلاً على الجِذلِ إلاّ أنَّه لا يُكبّــر
إذا حــوَّلَ الظلَ العشيُّ رأيتــــهُ حنيفاً وفي قرنِ الضحى يتنصَّر[٣٢]

علَّق العسكري على الأبيات قائلاً : ((وهذه تشبيهاتٌ مُصيبةٌ عجيبةُ الإصابة دالةٌ على شدَّة الحذق وثقوب الذهن، وقد أجمعت العرب أنَّ ذا الرمة أحسنهم تشبيهات))[٣٣]. إنَّنا في هذه الصورة إزاء فنان حاذق ، بارع التصوير ، ففي هذين البيتين نجد أنَّ الصورة اختلفت عند الشاعر في تشبيهه للحرباء ، ففي الأولى كان مقترفاً للذنوب ، ورجع إلى الله نادماً، وفي الثانية عابد زاهد ، يريد أنَّ هذه الحرباء مرة تكون على الدين الإسلامي الحنيف عندما " يحول الظل العشى رأيته حنيفاً " فعند زوال الشمس تقوم باستقبال القبلة ، ومرة أخرى يكون نصرانيٌ ، وفي قرن الضحى يتنصر " إذا أشرقت الشمس وبان الضحى استقبلت المشرق كأنَّه نصرانياً، جمالية الصورة التشبيه تكمن في ((أنه يدور بإزاء الشمس حيث دارت))[٣٤] الصورة رائعة تدل على فطنة وذكاء العقل العربي إزاء تصوير الأشياء ولا يخفى أنَّ الشاعر أنعت العرب للحرباء كما وصفه العسكري .

والعسكري بعد إيراده أبيات ذي الرمة يذكر أبياتاً لابن المعتز ويعقد موازنة نقدية بينهما لينتصر للأول في دقة التشبيه والإصابة ؛ إذ قال ابن المعتز : (من البسيط)

وَمَهْمهٍ فيه بَيضاتُ القطا كِسراً كأنَّها في الأفاحيصِ القواريــرُ
كأنَّ حِربائها والشَّمسُ تَصــرهُ صالٍ لنا من لهيبِ النارِ مقرور[٣٥]

يقول العسكري : ((وهذا تشبيهٌ مُصيبٌ أيضاً إلَّا أنَّ للأول ماءً وطلاوةٍ ليس لذا))[٣٦] أبو هلال فاضلَ بين أشعار " ذي الرمة وابن المعتز " في تصويرهما للحرباء، معتمداً بذلك على ذوقه النقدي، وإحساسه الفني، فانتصر للأول في تشبيهه لها، مع إصابة التشبيه عند الثاني، إلَّا أنَّ للأول رونق وطلاوة قلَّ نظيرها.

المبحث الثالث_ التشبيه الرديء :

عبَّر النقاد والبلاغيون القدماء عن ضرورة وضوح المعاني في التشبيه من خلال إبراز تلك المعاني ؛ إذ إنَّ ((أحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيهما حتَّى يدني إلى حال الاتحاد))[٣٧]. وبهذا فإنَّ وضوح المعاني تعد من الأغراض الرئيسة في التشبيه ، والتشبيه الرديء ((أن يكون بين المشبه والمشبه به بُعد وتباين))[٣٨]. ويرى ابن رشيق

القيرواني (ت:٤٦٣) أنَّ التشبيه القبيح أن تخرج البيّن والجلي والظاهر إلى المبهم والخفي والغامض فيفسد بياناً [٣٩].

ويذكر أبو هلال العسكري صاحب " الصناعتين والمعاني " أنَّ التشبيه يصبح قبيحاً رديئاً إذا تمَّ ((إخراج الظاهر فيه إلى الخافي ، والمكشوف إلى المستور ، والكبير إلى الصغير))[٤٠]. وعلى هذا الأساس فإنَّ النقاد يسعون إلى الدقة في التشبيه من خلال تصوير الإحساس للصور البلاغية المرتبطة بالوضوح ، وعكس ذلك يكون التشبيه رديئاً .

وأهم ما نسجلهُ على منهج أبي هلال في كتابه في هذا المضمار أنَّه يطلق آراءً نقدية هنا وهناك معتمداً على ذائقته الأدبية العالية، كما فعل مع التنوخي[٤١] حين وصف طول الليل :(من الرجز)

وليلةٍ كأنَّـــها فـــوتُ أمـــلْ ظلامُها كالدَّهرِ ما فيه خـــــلْ
كأنّما الأصباحُ فيــها باطـــل أزهقــه اللهُ لحـــــقٍ فبطـــلْ
ساعاتها أطولُ من يوم النّـوى وليلـــةِ الهـجرِ وساعاتِ العذَلْ
موصدة على الورى أبوابـــــها كالنار لا يخرجُ منها من دخـلْ[٤٢]

ليعقّب العسكري على الأبيات قائلاً : ((وهذا يستملح وإن لم يكن مختاراً من التشبيه لأنَّ إخراج المحسوس إلى ما ليس بمحسوس في التشبيه رديء))[٤٣]. فقد أكثر الشعراء من وصف الليل سواء في طوله أو قصره ، والشاعر هنا يشكو من طول ليلته لأنَّها مصحوبة عليه بالهموم، ويُشبّه طولها بطول الدهر " فوت أمل ظلامها كالدهر "، ويرى في الصباح لا نتيجة ترتجى منه، ولا يأتي عليه بالمنفعة، وساعات ليلته أطول من ساعات الهجران والعتاب، وأشار بقوله : " موصدة على الورى " أي إنَّها مغلقة ومطبقة على الخلق أبوابها، فقد شبّهها بالنار التي إذا دخل إليها أحد لا يخرج منها، وهنا مبالغة مفرطة في التشبيه ، وتكمن رداءته في إخراج الواقعي إلى غير الواقعي، والحسيّ إلى غير الحسيّ، وهو تشبيه وصفه العسكري بأنَّه رديء .

ومَثله جاء في قول ابن بسام في الياقوت : (من البسيط)

مداهنٌ من يواقيتٍ منُضدةٍ على الزمردِ في أوساطها الذهـــبُ
كأنَّه حينَ يبدو من مطالعهِ صَـــبٌّ يُقبــلُ صباً وهو مرتقــبُ[٤٤]

الشاعر يشبّه الورد بالياقوت الأحمر على كراسي زبرجد أزرق، وسطه شذر من ذهب أصفر. يقول العسكري : ((ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس في البيت دليل على أنه أراد الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة))[٤٥]. والتشبيه يفقد معنى الوضوح إذا خرج إلى القبيح، والقبيح الرديء ((هو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه شبه بين المشبَّه والمشبَّه به أو مع وجوده لكنُّه بعيدٌ))[٤٦]، كما جاء في قول جرير: (من الطويل)

إذا ضحكت شبَّهت أنيابها العلى خنافس سوداً في صراة قليبِ[٤٧]

خصَّ الشاعر الأنياب العليا دون السفلى، لأنَّها تظهر في التبسم والتكلم ، وأيضاً عند التثاؤب، وقد عدَّ أبو هلال العسكري هذا البيت أقبح ما جاء في قبح الأسنان، وعقَّب عليه قائلاً : ((فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقليب ، والصراة : الماء الفاسد فشبَّه به فساد نكهتها))[٤٨].

كانت العرب إذا أرادت ذكر بعضٍ من الشيء تقصد به الكل، والشاعر هنا يقصد بأضراسها العلى أي كُلها ، وقد جاء بتشبيه وتصويرٍ قبيح حين شبَّه أضراسها بالخنافس السود، وسعة فمها بالبئر الذي يحوي بداخله ماءً فاسداً ، بشاعة التصوير وقباحته المنظر يكمن في ضحكتها.

المبحث الرابع _غريب التشبيه :

ذهب النُّقاد والبلاغيون إلى أنَّ الغرابة في التشبيه تعني البعد أو الغموض وحتَّى يكون التشبيه بارعاً بالغاً لابدَّ أنْ يجمع بين المتباعدين ، وقد أوضح الجاحظ (ت:٢٥٠هـ) ذلك بقوله : ((الشيء في غير معدنه أغرب ، وكلَّما كان أغربُ كان أبعد في الوهم ، وكلَّما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلَّما كان أطرف كان أعجب ، وكلَّما كان أعجب كان أبدع ... والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد))[٤٩].

وذهب عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) إلى أنَّ التشبيهات متفاوتة بين الألفة والغرابة وبين الجودة والرداءة بحسب كثرة ترددها في الأبصار وطوافها على العيون ((كلُّ شبهٍ رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن تُرى وتُبصر أبدا ، فالتشبيه المعقود نازل مبتذل، وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع))[٥٠]، ومعنى

هذا أنَّ التشبيه إذا كان شائعاً ودارجاً ومتداولاً سيكون هابطاً مبتذلاً ، وإذا كان عكس ذلك غريباً وصف بالنادر والبديع .

والتشبيه البعيد الغريب هو الذي تحتاج فيه عند الانتقال من المشبَّه إلى المشبَّه به إلى فكرٍ كبيرٍ وكدٍّ وتأمل وطول نظرةٍ وتمهلٍ لسببين إمَّا كثيرُ التفصيل أو ندرة حضور المشبه به في الذهن(٥١).

وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه " ديوان المعاني " العديد من التشبيهات التي اتسمت بالغرابة وأطلق بشأنَّها آراءً نقدية قيّمة، ومِثل ذلك ما جاء في قول ذي الرمة : (من البسيط)

كأنَّما عَينُها منها وقد ضَمَرتْ وضَمَّها السَّيْرُ في بعضِ الأضى ميمُ(٥٢)

يقول العسكري: ((من غريب ما قيل في عين الناقة قول ذي الرمة فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها، والأضى الواحدة أضاة وهي الغدير، وقد قصر بذي الرمة علمه بالكتابة))(٥٣).

غرابة التشبيه تحتاج من السامع التفكير والتأمل للانتقال من المشبَّه إلى المشبَّه به بسبب عدم وضوح المشبَّه به وإخفائه ، والشاعر في البيت الشعري شكَّل لنا صورة شعرية تكتنفها الغرابة والبعد في التشبيه، ليعطينا من خلالها العمق والتأمل من خلال تصوير " عين الناقة " فهو يريد : إنَّ الناقة إذا جهدت وتعبت من السير نحلت ونحفت وحين تقترب من ماء " الأضى " أي : المستنقع ، وإذا نظرتَ إلى عينها ستجد أنَّها بدت كحرف الميم في استدارتها وجحوظها .((ويحكى أنَّ أبا عمرو رأى ذا الرمة في دكان طحان بالبصرة يكتب، قال : فقلت : ما هذا يا ذا الرمة ؟ فقال : اكتم عليّ يا أبا عمرو. ولمَّا قال البيت ، فقيل له : من أين عرفت الميم؟ فقال : والله ما أعرفها؛ إلَّا أنِّي رأيت معلمًا خرج إلى البادية فكتب حرفًا، فسألته عنه، فقال : هذا الميم؛ فشبهت به عين الناقة.))(٥٤)

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل ما ذكره العسكري في كتابه قول بعض الأعراب : (من الطويل)

كفى حَزَنَاً أني تطاللتُ كيْ أرَى ذُرى علمي دَمخ فما يُرَيان
كأنَّهما والآلُ ينجــابُ عنهمــا من البعدِ عينا بُرقع خلقان(٥٥)

ذكر العسكري البيتين وقال: ((وهذا من أغرب ما روي من تشبيهات القدماء)) [٥٦] في تصوير الشاعر تأمل غريب يبعث لحناً شجياً من خلال بث شكواى حزنه إلى جبلين قد أحبهما، الأول اسمه " دمخ "[٥٧] والثاني اسمه " علم " ولم يورد العسكري البيت في كتابه فأوردته هنا إذ يقول : (من الطويل)

ألا حبذا والله لو تعلمانه ظِلالكما يأيُّها العلمـــان[٥٨]

والعرب قديماً تطلق على الجبل اسم " علم" ، والشاعر يخاطب الجبلين، إنِّي " تطاللت" أي : مددت عنقي ورفعته كي أرى أبعد نقطة في ارتفاعكما، فرأيت " الآل" أي : السحاب، فشبههما به ، فمن خلال التصوير الذي غمرته الغرابة في الوصف أراد أن يقول : كأنَّكما والسحاب تطوفان حولي من بعد وتنظران لي كنظرات العين من وراء البرقع البالي أي : القناع الذي ترتديه المرأة وتظهر منه العينان فقط .

وأردف لنا العسكري في كتابه ((من غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السَّير بجراء الكلاب بيض))[٥٩] قول الراجز :

كـــأنَّ إجراء كِلابٍ بيضٍ دون صافيه إلى التَّعريضِ

يرسم لنا الشاعر بأداة التشبيه " كأنَّ " قوائم الفرس المحجلة ، أي : الفرس الذي في أرجله وخلاخيله بيض، فيشبه قوائمه الأربعة عندما يركض مسرعاً، وتتجمع على بطنه عند ارتفاعها ، بكلاب بيض صغار. يظهر لنا الشاعر من خلال تشبيهه صورة بلاغية رائعة، وتحتاج من السامع والمتلقي تأمل وإمعان لكي تصل إلى المعنى بوضوح، وهنا تكمن الغرابة في البيت .

وخلاصة القول ممَّا تقدَّم من هذا الأمر أنَّ النُّقادَ والبلاغيين كانوا يرون أنَّ الغرابة في التشبيه تكون من خلال سبق الشاعر إلى التشبيه الغريب المستحسن ، أو عن طريق أخذ الشاعر التشبيه ثم يزيد إليه معنى مبتكراً ، وتتأتى الغرابة من خلال البحث الدقيق عن ارتباطات بين المشبه والمشبه به وإظهارها في اتفاق حسن ، والغرابة تحدث أيضاً من خلال تردد المشبه والمشبه به على الأبصار وهذا التردد مشروط أن يرد بطريقة غريبة ونادرة حتى يخرج بديعاً .

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الماتعة في صفحات كتاب ديوان المعاني والذي شمل مدار البحث فيه معيار التشبيه عند أبي هلال العسكري والأحكام النقدية التي أطلقها على أشعار أعلام الشعراء ، إذ وقف على مواطن التشبيهات التي ضمَّنها في كتابه ، وعلَّق عليها معتمداً بذلك على ذائقته الأدبية المميَّزة، وجلَّ ما أورده في كتابه كان مقسماً بين التشبيهات الحسان، والتشبيهات المصيبة، والتشبيه الرديء ، وغريب التشبيه . وعرضي لهذا البحث المتواضع والذي لا أدعي الكمال فيه، لانَّ الكمال لله وحده جلَّ شأنه، لكن هو فرصة لتحريك مجسات القراءة لكي يتعرف من خلاله الباحث على المكنون في الكتاب ، فسأله أن يجعله عملاً خالصاً لوجه الكريم والحمد له والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين .

هوامش البحث

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ، محمد بن عرفة الدسوقي : ج ٣ / ٥٠ .
(٢) الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : ص ٢٤٩ .
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، ، الخطيب القزويني : ص ١٦٦ .
(٤) علم البيان ، ، عبد العزيز عتيق :ص ٧٥ .
(٥) عيار الشعر ، محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، : ص ١٧ .
(٦) الجامع الكبير في صناعة المنظوم ، ابن الاثير الكاتب ، : ص٩٧
(٧) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي الحلبي : ص ٢٦٤.
(٨) ينظر : الصناعتين ، العسكري : ٢٤٦_٢٤٨.
(٩) ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري : ص ٣٢٣.
(١٠) ينظر : ديوان ابن المعتز : ص ٤٠٨

(١١) ديوان المعاني : ص ٦٠٣.

(١٢) ينظر : علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ص ١٢٦.

(١٣) ينظر : ديوان ذي الرمة :ج ٢ / ٦٢٥

(١٤) ديوان المعاني : ص ٦٦٥ .

(١٥) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : ج ٧ / ٤١١

(١٦) ينظر : المعايير البلاغية في الخطاب النقدي القديم في القرنيين الرابع والخامس الهجري ، محمود خليف خضير عبيد الحياني :ص ٢٩.

(١٧) ينظر : علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ٧٥.

(١٨) الأبيات منسوبة إلى الحسين بن محمد بن الحسين بن حيّ القرطبي . ينظر : معجم الأدباء ، ياقوت الحموي :ج ٣ / ١١٤٨

(١٩) ديوان المعاني : ٦٢٧ .

(٢٠) ديوان المعاني : ٦٢٧

(٢١) ينظر : ديوان ابن المعتز : ١٤٩

(٢٢) هو مخلد بن بكار الموصلي قلت أخباره في كتب التراجم ، له أخبار مع أبي تمام . ينظر : ديوان المعاني : ٦٣١

(٢٣) لم أعثر على أشعاره .

(٢٤) ديوان المعاني : ص ٦٣١-٦٣٢.

(٢٥) البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب : ص ١٣٩.

(٢٦) ينظر : ديوان بشر بن أبي خازم : ص ٢٠٨

(٢٧) ديوان المعاني : ٧٢٠ .

(٢٨) ينظر : مقاييس اللغة . أحمد بن فارس بن زكريا القزويني : ج٤ / ١٢٢

(٢٩) ينظر : ديوان المعاني : ٩٢٣

(٣٠) ينظر : ديوان ذي الرمة : ١ / ٢٠١_ ٢٠٣

(٣١) التشبيهات ، لابن أبي عون : ٢١

(٣٢) ينظر : ديوان ذي الرمة : ١ / ٦٣١ ،

(٣٣) ديوان المعاني : ٩٢٤.

(٣٤) التشبيهات ، لابن أبي عون :ص ٢٢

(٣٥) لم أعثر على الأبيات في الديوان . ينظر : التشبيهات لابن أبي عون.: ص ٢٢

(٣٦) ديوان المعاني : ٩٢٥.

(٣٧) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر : ص١٢٤.

(٣٨) الجامع الكبير في صناعة المنظوم ، ابن الاثير: ص ٩٦.

(٣٩) ينظر : العمدة ، ابن رشيق القيرواني : ١ / ٢٨٧.

(٤٠) الصناعتين : ٢٦٣ .

(٤١) علي بن محمد بن داود الانطاكي القاضي التنوخي، قدم الى بغداد في حداثته وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، ينظر : ديوانه : ٢١

(٤٢) ينظر : ديوان التنوخي علي بن محمد بن داود الانطاكي : ص ٦٨ .

(٤٣) ديوان المعاني : ٦٥٣.

(٤٤) ديوان ابن بسام علي بن محمد بن نصر : ص ٢٦

(٤٥) ديوان المعاني : ٧٣٥.

(٤٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي :ص ٢٤١ .

(٤٧) ديوان جرير . شرح محمد بن حبيب ،: ج٢ / ٨٢٦

(٤٨) ديوان المعاني : ٤٢٣.

(٤٩) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ج١/ ٨٩_٩٠.

(٥٠) أسرار البلاغة ، الشيخ أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني : ص١٦٥.

(٥١) ينظر : علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ص ٩٣_.٩٤

(٥٢) ينظر : ديوان ذي الرمة : ١ / ٤٢٥

(٥٣) ديوان المعاني : ٨٧٩

(٥٤) كتاب الخصائص ،لابن جني : ٣ / ٢٩٩

(٥٥) الأبيات منسوبة إلى طهمان بن عمرو الدارمي ، ينظر : معجم البلدان ، للحموي ، مادة " دمخ " : ٢ / ٤٦٢

(٥٦) ديوان المعاني : ٨٩٤.

(٥٧) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : ٣ / ١٥

(٥٨) معجم البلدان ، ياقوت الحموي: ٢ / ٥٢٧.

(٥٩) ديوان المعاني : ٨٦٩.

المصادر

- أسرار البلاغة ، الشيخ أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، ، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ، وضع خواشيه : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤ ه
- البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، تحقيق : حنفي محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، النشر ١٣٨٩ ه _ ١٩٦٩ م.
- التشبيهات ، لابن أبي عون عنى بتصحيحه : محمد عبد المعد حان ، طبع في مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٣٦٩ه_ ١٩٥٠م
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم ، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين ابن الاثير الكاتب ، تحقيق: مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٣٧٥ ه
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ، محمد بن عرفة الدسوقي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت
- ديوان ابن المعتز ، الناشر : دار صادر ، بيروت

- ديوان التنوخي علي بن محمد بن داود الانطاكي ، تحقيق : هلال ناجي ، مجلة المورد ، مجلد ١٣ ، عدد ١ ديوان ابن بسام علي بن محمد بن نصر ، تحقيق : د. مزهر السوداني ، الطبعة الاولى ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ، بيروت _ لبنان ١٤١٩ه_ ١٩٩٩م
- ديوان المعاني أبو هلال العسكري ، تحقيق : أحمد سليم غانم ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، ١٤٢٤ه_ ٢٠٠٣م
- ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : الدكتور عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري ، مطبوعات مديرية احياء التراث العربي ، دمشق ، ١٣٧٩ه _ ١٩٦٠ م
- ديوان جرير . شرح محمد بن حبيب ، تحقيق : نعمان محمد امين، الناشر : دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثالثة . البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٧ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١٨ه_ ١٩٩٨ م
- ديوان ذي الرمة ، شرح : أبي نصر الباهلي رواية ثعلب ، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح ، الناشر : مؤسسة الايمان جدة ، ط١ ، ١٤٠٢ _ ١٩٨٢م
- سر الفصاحة ، الأمير أبو محمد عبد الله محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ه_ ١٩٨٢م .
- الصناعتين ، العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاري ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار الفكر العربي
- علم البيان ، ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ م
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار الجيل ، ١٤٠١ _ ١٩٨١م
- عيار الشعر ، محمد أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : عباس عبد الستار ، مراجعة نعيم زرزور، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦ ه _ ٢٠٠٥ م
- كتاب الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الأفريقي ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤ه .
- معجم الأدباء ، ، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت .
- مقاييس اللغة . أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر ، ١٣٩٩ه_ ١٩٧٩م.
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

المراجع

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق : د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت .:ص ٢٤١ .
- علم البيان ، ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ م :ص ٧٥ .
- المعايير البلاغية في الخطاب النقدي القديم في القرنيين الرابع والخامس الهجري ، محمود خليف خضير عبيد الحياني ، ١٤٢٦ه . ٢٠٠٥م.